بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله .

أما بعد فهذا الجزء الثاني لمجموعة من اقوال كبار علماء المالكية رحمهم الله في التمسك بالسنة النبوية وفهم السلف الصالح ونبذ البدعة والتحذير منها(*). نسأل الله تعالى أن ينفع بها والحمد لله رب العالمين.

– عن معن بن عيسى قال: كان مالك يقول: (لا يؤخذ العلم عن أربعة ويؤخذ ممَّن سوى ذلك)، وذكر من هؤلاء الأربعة: (صاحب هوى يدعو إلى هواه، أو قال: مبتدع يدعو إلى بدعته)[1].

– وقال أيضًا:(لا تسلم على أهل الأهواء ولا تجالسهم إلاَّ أن تغلظ عليهم، ولا يعاد مريضهم، ولا تحدَّث عنهم الأحاديث) («الجامع» لابن أبي زيد القيرواني (ص١٢٥)).

– قال مالك : (لا تجوز الإجارة في شيء من كتب أهل الأهواء والبدع والتَّنجيم. وذكر كتبًا ثمَّ قال: «وكتب أهل الأهواء والبدع عند أصحابنا هي كتب أصحاب الكلام من المعتزلة وغيرهم، وتفسخ الإجارة في ذلك) («جامع بيان العلم وفضله» (٢/٩٤٢ . ٩٤٣)).

– وقال القرافي (ت٦٨٤هـ) رحمه الله : (اعلم أنَّ الأصحاب . أي علماء المالكيَّة . فيما رأيتُ متَّفقون على إنكار البدع نصَّ على ذلك ابن أبي زيد وغيره)(«الفروق» (٤/٢٠٢)).

– وهذا عبد الله بن فروخ الفارسي (ت١٧١هـ) الَّذي كان مُبَايِنًا لأهل البدع معاديًا لهم، يراسل الإمام مالكًا ليخبره بحال بلاد المغرب فيقول: (إنَّ بلدنا كثير البدع)، وأنَّه ألَّف لهم كلامًا في الرَّدَ عليهم،

(*) هذا البحث نشر في مجلة الاصلاح العدد (١٥) و(١٧).

(١) انظر: «التمهيد» (١/٦٦ . ٦٧)، «جامع بيان العلم» لابن عبد البر (٢/٨٢١).

فكتب إليه مالك: (إنَّك إن ظننت ذلك بنفسك خفت أن تزل أو تهلك، لا يردُّ عليهم إلاَّ من كان ضابطًا عارفًا بما يقول لهم، ليس يقدرون أن يعرجوا عليه، فإنَّ هذا لا بأس به، وأمَّا غير هذا فإنِّي أخاف أن يكلِّمهم فيخطئ فيمضوا على خطئه، أو يظفروا منه بشيء فيتعلَّقوا به ويزدادوا تماديًا على ذلك) («رياض النفوس» (١/١٧٧)).

– وكان البهلول بن راشد (ت١٨٣هـ) معروفًا بالنَّكير على أهل البدع وتركه السَّلام عليهم، قال عنه تلميذه سحنون: إنَّما اقتديت في ترك السَّلام على أهل الأهواء والصَّلاة خلفهم بمعلِّمي البهلول [«رياض النفوس» (١/٢٠٣).]، وكان من شدَّته في الإنكار على أهل البدع أن هجر سحنونًا حين حادث أحد أهل البدع، قال سحنون رحمه الله: (ولقد أتيت يومًا إلى البهلول فوافاني رجل من أهل الأهواء على بابه ، وسألني عن الشَّيخ، فما رددت عليه جوابًا، والشَّيخ يسمع ذلك، فلمَّا دخلت على الشَّيخ سلَّمت عليه، فلم يردَّ عليَّ السَّلام، وأعرض عنِّي، فلمَّا خرج النَّاس من عنده تقدَّمت إليه، فجثوت على ركبتي بين يديه، فقلت له: ما خبري وما قصَّتي؟ فقال: يسلِّم عليك رجل من أهل الأهواء ويسألك عنِّي !، فقلت له: والله ما رددت عليه جوابًا، قال: فقام لي عند ذلك وقال: مرحبًا وأهلاً، وسلَّم عليَّ وقال لي: إنَّ هذا الَّذي أمرتك به تعرف به الحقَّ من الباطل) («رياض النفوس» (١/٢٠٤)).

– وكتب أسد ابن موسى (ت٢١٢) . المعروف بأسد السُّنَّة . إلى أسد ابن الفرات يشجِّعه لما علم من حاله في التَّمسُّك بالسُّنَّة والنَّهي عن البدعة ؛ فقال :

(اعلم أي أُخَيَّ ! إنَّما حملني على الكتاب إليك ما ذكر أهل بلادك من صالح ما أعطاك الله من إنصافك النَّاس وحسن حالك ممَّا أظهرت من السُّنَّة، وعيبك لأهل البدعة، وكثرة ذكرك لهم، وطعنك عليهم، فقمعهم الله بك وشدَّ بك ظهر أهل السُّنَّة وقوَّاك عليهم بإظهار عيبهم والطَّعن فأذلَّهم الله بذلك وصاروا ببدعتهم مستترين، فأبشر أي أخي بثواب ذلك واعتدّ به من أفضل حسناتك من الصَّلاة والصِّيام والحجّ والجهاد

وأين تقع هذه الأعمال من إقامة كتاب الله وإحياءِ سنَّة رسوله ﷺ ....، وادع إلى السُّنَّة حتَّى يكون لك في ذلك ألفة وجماعة يقومون مقامك إن حدث بك حدث فيكونون أئمَّة بعدك فيكون لك ثواب ذلك إلى يوم القيامة كما جاء الأثر...، وإيَّاك أن يكون لك من أهل البدع أخ أو جليس أو صاحب. . . ، وقد وقعت اللَّعنة من رسول الله ﷺ على أهل البدع، وأنَّ الله لا يقبل منهم صرفًا ولا عدلاً ولا فريضة ولا تطوعًا، وكلَّما ازدادوا اجتهادًا وصومًا وصلاة ازدادوا من الله بعدًا، فارفض مجالسهم وأذلَّهم وأبعدهم كما أبعدهم الله وأذلَّهم رسوله ﷺ وأئمَّة الهدى من بعده) . (كتاب فيه ما جاء في البدع لابن وضَّاح (ص٣٤ . ٣٨)).

– ومنهم سحنون بن سعيد التنوخي (ت٢٤٠هـ) رحمه الله الَّذي عرف بشدَّته على أهل البدع؛ والَّذي ما أن تولَّى منصب القضاء بالقيروان حتَّى فضَّ حلق أهل البدع والأهواء في مسجد القيروان، وكانوا حلقًا للصُّفرية والإباضيَّة والمعتزلة، كما أنَّه منعهم أن يكونوا أئمَّة في المساجد أو معلِّمين لصبيان ومؤدِّبين لهم، وعاقب جماعة منهم خالفوا أمره وأطافهم بالقيروان. («ترتيب المدارك» (٤/٦٠)).

– ومنهم محمَّد بن وضَّاح القرطبي (ت٢٨٧هـ)، ألَّف كتابًا جليلاً في البدعة وما يتعلَّق بها؛ اعتبر أقدم مصدر في هذا الباب، وقد بان فيه تمسُّكه القويّ بالسُّنَّة وآثار السَّلف وبغضه للبدع وشدَّة إنكاره لها وسمَّاه (كتاب فيه ما جاء في البدع)، عرض فيه الأحاديث والآثار الواردة عن السَّلف في ذمّ الابتداع في الدِّين.

– ومنهم حمديس القطَّان (ت٢٨٩هـ)؛ الَّذي كان شديدًا في مذاهب أهل السُّنَّة، مفارقًا لأهل البدع، لا يسلِّم عليهم ولا يصلِّي خلفهم ولا يحضر جنائزهم[1].

– ومنهم يحيى بن عمر (ت٢٨٩هـ) وكان كثير الإنكار للبدع والمحدثات، وله تأليف عدَّة في الرَّدَ على أهل البدع، منها كتاب في الرَّدَ على المرجئة. («رياض النفوس» (١/٤٩٠)).

(١) ترجمته في «رياض النفوس» (١/٤٨٨)، «ترتيب المدارك» (٤/٣٧٩).

– ومنهم الإمام أبو محمَّد عبد الله بن أبي زيد القيرواني (ت٣٨٦هـ)، الَّذي كان يلقَّب بـ(مالك الصَّغير)، له مؤلَّفات عدَّة نصر فيها عقيدة السَّلف كما في مقدِّمة كتابه (الرسالة) في الفقه المالكي وفيها يقول: (واتِّباع السَّلف الصَّالح واقتفاء آثارهم، والاستغفار لهم، وترك المراء والجدال في الدِّين، وترك كلَّ ما أحدثه المحدثون)(«الرسالة» (ص٩))،و(كتاب الجامع في السُّنن والآداب والمغازي والتَّاريخ) والَّذي عقد فيه بابًا بعنوان:(باب ذكر السُّنن الَّتي خلافها البدع وذكر الاقتداء والاتِّباع وشيء من فضل الصَّحابة ومجانبة أهل البدع)(«الجامع في السنن والآداب» (ص٥١)).

– ومنهم الإمام ابن أبي زمنين (ت٣٩٩هـ)؛ العالم القدوة المقتفي لآثار السَّلف، له كتاب (أصول السُّنَّة) كما تقدم معنا، أبان فيه عن عقيدة أهل السُّنَّة، والَّذي نقل منه الأئمَّة كشيخ الإسلام ابن تيميَّة («مجموع الفتاوى» (٥/٥٤ . ٥٨))، وابن القيِّم في كتابه (اجتماع الجيوش الإسلاميَّة) (ص٨١) .

– وعقد ابن أبي زمنين في كتابه هذا بابين في الرَّدَ على أهل البدع وساق فيهما الأحاديث والآثار الواردة في ذلك بإسناده إلى قائليها، أمَّا الباب الأوَّل فهو: (باب في النَّهي عن مجالسة أهل الأهواء)، والثَّاني: (في استتابة أهل الأهواء واختلاف أهل العلم في تكفيرهم)، ومن كلامه في عيب أهل البدع قوله: (ولم يزل أهل السُّنَّة يعيبون أهل الأهواء المضلَّة، وينهون عن مجالستهم ويخوفون فتنتهم، ويخبرون بخلافهم، ولا يرون ذلك غيبة لهم ولا طعنًا عليهم)(«أصول السُّنَّة» (ص٢٩٣)) .

– ومن هؤلاء الأعلام الإمام أبو عمر الطلمنكي (ت٤٢٩هـ)، أحد أئمَّة السُّنَّة بالأندلس، وكان رحمه الله عارفًا بأصول الدِّيانة على هدى واستقامة، معروفًا بشدَّته على أهل الأهواء والبدع، وكان سيفًا مجرَّدًا عليهم، قامعًا لهم غيورًا على الشَّريعة، له مصنَّفات عدَّة في الذَّبّ عن السُّنَّة وردّ البدع، فمنها كتاب (الوصول إلى معرفة الأصول)(«الديباج المذهب» (١/١٧٩)) اعتمده كثير من علماء السُّنَّة ونقلوا منه في كتب الاعتقاد كشيخ الإسلام ابن تيمية في (درء تعارض العقل والنقل)(٦/٢٥٠)، وفي (بيان تلبيس الجهميَّة في تأسيس بدعهم الكلاميَّة)(٢/٣٨)، وفي (منهاج السُّنَّة)(١/٢٨) .

ونقل منه ابن القيم في كتابه (اجتماع الجيوش الإسلاميَّة على غزو المعطِلة والجهميَّة)(ص٦٨.٦٧)، وفي كتابه (الصَّواعق المرسلة على الجهميَّة والمعطِلة)(٤/١٢٨٤)، والذَّهبي في كتابه (العلو)[1]، ومن كتب الطلَمنكي أيضًا (كتاب في الرَّدّ على ابن مسرَّة)، و(رسالة في أصول الديانات).

– ومنهم أبو عمرو الدَّاني (ت٤٤٤هـ)، الَّذي كانت له جهود وافرة في الرَّدِّ على أهل البدع والزَّيغ والضَّلالة، من ذلك ما عقده في كتابه (الرِّسالة الوافية) قائلًا: (فصل في ذمِّ أهل البدع ومذهبهم)(«الرسالة الوافية» (ص١٦٦.١٤٧)) سرد فيه الآيات والأحاديث والآثار الواردة عن السَّلف في نبذ البدعة، والتَّحذير من الفرق الضَّالَّة كالخوارج والمعتزلة والرَّافضة والجهميَّة والمرجئة والقدرية، ودعوة السَّلف إلى عدم مجالستهم والخوض في أهوائهم...، وسلك المنهج نفسه رحمه الله في كتابه (السُّنن الورادة في الفتن وغوائلها والسَّاعة وأشراطها) حيث أورد اثني عشر أثرًا، ما بين مرفوع إلى النَّبيِّ ﷺ وموقوف عن الصَّحابة، تحت باب:(ما جاء في ظهور البدع والأهواء المضلة وإحيائها وإماتة السُّنن)(٦١١.٦٢٦)، فيها الدَّلالة على نبذ الأهواء والبدع، ومجيء زمن تظهر فيه البدع كالخوارج والقدريَّة، وتصير البدع عند النَّاس هي السُّنن، حتَّى إذا ما أنكرها منكر قيل: غُيِّرت السُّنة، تنبيها منه على ضرورة لزوم السُّنة ومجانبة البدعة وأهلها.

– ومن جهوده أيضًا رحمه الله ما أورده الذَّهبي في (السِّير) من أرجوزته في ذمِّ البدع وتعيير محدثيها من رؤوس الضَّلالة، حتَّى يجتنب النَّاس أهواءهم، ويحذروا اتباع آرائهم، فمن تلك الأبيات قوله(«السير» (١٨/٨٢)):

واطرح الأهواء والمراء *** وكلّ قول ولّد الآراء

– ومن هؤلاء الأعلام المالكيَّة الإمام ابن عبد البرّ (ت٤٦٣هـ) رحمه الله حافظ المغرب وعالمه، ذو التَّصانيف العديدة المليحة كـ(التَّمهيد) و(الاستذكار) و(جامع بيان العلم وفضله)، أنكر فيها الكثير من البدع والمحدثات سواء في الاعتقاد أو العبادات، ومن كلامه في ذمِّ أهل البدع

(١) انظر: «مختصر العلو للعليّ الغفَّار» للذهبي (ص٢٦٤)، باختصار الألباني.

عمومًا ما بيَّنه رحمه الله من فساد مسلكهم إذ يقول:(أهل البدع أجمع أضربوا عن السُّنَّة، وتأوَّلوا الكتاب على غير ما بيَّنت السُّنَّة فضلوا وأضلوا، ونعوذ بالله من الخذلان ونسأله التَّوفيق والعصمة برحمته...)(«جامع بيان العلم وفضله» (٢/١١٩٩)).

– ويقول أيضًا: (لا خير في شيء من مذاهب أهل الكلام كلّهم وبالله التَّوفيق)(«الجامع» (٢/٩٤٤))، بل ونقل إجماع أهل العلم على ذمّ أهل الكلام، فقال: (أجمع أهل الفقه والآثار من جميع الأمصار أنَّ أهل الكلام أهل بدع وزيغ ولا يعدُّون عند الجميع في طبقات الفقهاء، وإنَّما العلماء أهل الأثر والتَّفقُّه فيه، ويتفاضلون فيه بالإتقان والميز والفهم)(«الجامع» (٢/٩٤٢))، ومن شدَّته على أهل البدع أن قال: (ولا بأس بهجر أهل البدع ومقاطعتهم وترك السَّلام عليهم)(«الكافي في فروع المالكية» لابن عبد البر (٢/١١٣٨)) حتَّى يرجعوا إلى السُّنَّة.

– ومنهم الإمام أبو بكر محمَّد بن الوليد الطّرطوشي (ت٥٣٠هـ) رحمه الله، له كتاب نفيس قيِّم في إنكار البدع، سمَّاه: (كتاب الحوادث والبدع) تعرَّض من خلاله إلى تتبُّع المحدثات الموجودة في عصره، وكشف عن وجه مناقضتها للشَّريعة، وفساد مآخذ أصحابها، بالدَّليل والحجَّة، وقد بيَّن غرضه من هذا التَّأليف فقال: (هذا كتاب أردنا أن نذكر فيه جملًا من بدع الأمور ومحدثاتها، الَّتي ليس لها أصل في كتاب، ولا سنَّة، ولا إجماع، ولا غيره)، وممَّا بيَّنه رحمه الله في مؤلَّفه هذا أنَّ البدع لا يمكن حصر سبلها وتعدادها، وإنَّما الَّذي ينحصر مداركها، حيث يقول: (اعلم أنَّ ما حدث في سائر بلاد أهل الإسلام من هذه المنكرات والبدع لا مطمع لأحد في حصرها؛ لأنَّها خطأ وباطل).

– ومنهم أبو عبد الله القرطبي (ت٦٧١هـ) رحمه الله ممَّن أنكر بدعًا كثيرة في تفسيره القيِّم (الجامع لأحكام القرآن)، وحذَّر من الابتداع في الدِّين، كما عند تفسيره قوله تعالى:﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾الآية [آل عمران:١٠٦] ، حيث يقول: (فمن بدَّل أو غيَّر أو ابتدع في دين الله ما لا يرضاه الله ولم يأذن به الله فهو من المطرودين عن الحوض، المُبْتَعَدِين منه، المسودي الوجوه، وأشدُّهم طردًا وإبعادًا من خالف جماعة

المسلمين وفارق سبيلهم، كالخوارج على اختلاف فِرَقها، والرَّوافض على تباين ضلالها، والمعتزلة على أصناف أهوائها، فهؤلاء كلّهم مبدَلون ومبتَدعون، وكذلك الظَّلمة المسرفون في الظّلم والجور وطمس الحقّ وقتل أهله وإذلالهم، والمعلنون بالكبائر المستخفون بالمعاصي، وجماعة أهل الزَّيغ والأهواء والبدع، كلّ يخاف عليهم أن يكونوا عنوا بالآية والخبر كما بيَّنَّا، ولا يخلد في النَّار إلَّا كافر جاحد ليس في قلبه مثقال حبَّة خردل من إيمان)(في «تفسيره» (٤/١٦٨)).

– ويقول ابن الحاج المالكي (ت٧٣٧هـ) في كتابه (المدخل)[1] الَّذي يعتبر من أجمع ما ألَّف المالكيَّة في التَّنصيص على البدع والمنكرات، فيقول في معرض التَّحذير من الابتداع: (وليحذر ـ أي العالم ـ أن يغترَّ أو يميل إلى بدعة لدليل قام عنده على إباحتها من أجل استئناس النُّفوس بالعوائد أو بفتوى مفتٍ قد وهم أو نسي أو جرى عليه من الأعذار ما يجري على البشر وهو كثير، بل إذا نقل إباحة شيء من هذه الأمور عن أحد من العلماء؛ فينبغي للعالم بل يجب عليه أن ينظر إلى مأخذ العالم للمسألة، وتجويزه إيَّاها، من أين اخترعها وكيفيَّة إجازته لها؛ لأنَّ هذا الدِّين والحمد لله محفوظ فلا يمكن لأحد أن يقول فيه قولًا ويتركه بغير دليل، ولو فعل ذلك أحد لم يقبل منه، وهو مردود عليه؛ إلَّا أن تكون قواعد الشَّرع تشهد بصحَّته فيرجع للقواعد وللدَّلائل القائمة، ويكون قول هذا العالم بيانًا وتفهيمًا وبسطًا للقواعد والدَّلائل، وإن أتى على ما يقوله بدليل فينظر في الدَّليل؛ فإن كان موافقًا قُبل وكان له أجران أجر الاجتهاد وأجر الإصابة، وإن كان مخالفًا لم يقبل وكان له أجر واحد وهو أجر الاجتهاد، وذلك راجع إلى نيته وجدّه ونظره...)(«المدخل» (١/١٦٢ ـ ١٦٣)).

www.rayatalislah.com

(١) إلَّا أنَّ مؤلَّفه كان متأثِّرًا إلى حدٍّ كبير بمذاهب الصُّوفيَّة وخزعبلاتهم. [التحرير]

الحمد لله

٢

ذِكْرُ مَا وَرَدَ عَنْ عُلَمَاءِ المَالِكِيَّةِ فِي التَّمَسُّكِ بِالسُّنَّةِ وَفَهْمِ السَّلَفِ وَنَبْذِ البِدْعَةِ

الإمام مالك رحمه الله (١٧٩ هـ)

إبراهيم بن موسى الشاطبي رحمه الله (٧٩٠ هـ)

أبو بكر بن عربي رحمه الله (٥٤٣ هـ)

ابن وضاح القرطبي رحمه الله (٢٨٧ هـ)

ابن الحاج رحمه الله (٧٣٧ هـ)

وغيرهم